النحو بين دعوتين(النقض– التبديد)

سامح كمال السيد حسن

الملخص

د. سامح كمال السيد حسن – كاتب وباحث في علوم اللغة العربية-ومجال هذا البحث هو "النحو العربي بين دعوتين- النقض والتبديد". تعرّضَ النحو العربي لدعاوى شرسة على مرّ العصور وخاصة من اللغويين الأندلسيين الذين يعتنقون المذهب الظاهري وعلى رأس هؤلاء ابن مضاء القرطبي المتوفى 582هـ والذي دعا إلى لإلغاء نظرية العامل، وكشف البحث أن صاحب هذه الدعوة هو ابن جني المتوفى 392هـ؛ ولكن النزعة العدائية التي أظهرها ابن مضاء في كتابه" الرد على النحاة" نسبت إليه وذاعت شهرته بين الدارسين. وعندما حقق الدكتور شوقي ضيف هذا الكتاب تأثر به تأثر واضحا وعلى أثره دعا إلى تجديد النحو وتيسيره، وهما عنوانان لكتابين له.

وقد عرض الباحث آراء أصحاب دعاوى الدمج أو الحذف أو نحو النص، وهي دعاوى تستتر تحت مسميات التطوير والإصلاح والتيسير، وقام الباحث بتفنيد هذه الدعاوى.

وقام الباحث بإجراء استبيان في إحدى المؤسسات التعليمية الكبرى للكشف عن أسباب عزوف الناطقين بالعربية عن التحدث بالفصحى عامة وعن النحو خاصة. وأثبتت الإجابات أن 67% من المشاركين أجابوا: أن أصعب فرع من فروع اللغة هو النحو والقواعد؛ ويرجعون السبب لطريقة المعلم في توصيل المعلومة، وبعضهم يقول: إننا لسنا بحاجة إليه.

ودوّنَ الباحث عدّة نتائج كشف عنها البحث، ووجه دعوة لكل الغيورين على اللغة العربية الانتباه للتراث النحوي وخاصة الإعراب فهو سمة العربية، وهو الذي جعلها حيّة وصامدة لقرابة خمسة عشر قرنا، وستظل إلى قيام الساعة، وستظل محمية لأنها لغة القرآن الذي حفظها وشرفت به وشرفَ بها.

Grammar: Between Criticism and Dissipation

Sameh Kamal Hassan

ABSTRACT

Dr. Sameh Kamal Sayed Hassan, a writer and researcher in the growth of the Arabic language.

This research is based on the demolition and dispersal of Arabic grammar.

Arabic grammar was attacked by many cruel claims over the ages, especially by Andalusian linguists who follow the Ẓāhirī school of though. They were led by Ibn Maḍā Al-Qurtubi who passed away in 582 AH after calling for the termination of the "effector theory". The research revealed that the first to call for the termination is Ibn Jini who passed away in 392 AH. However, Ibn Madā's aggressiveness in his book, Replying to Grammarians, lead to crediting him for the movement and his fame between scholars. Dr. Shawqi Dhaif was very inspired after translating the book and, consequently, published two books calling for the renovation and simplification of Arabic grammar.

The researcher successfully portrayed the opinions of those who call for the omission, combination of grammar rules in the guise of development and renovation.

The researcher also conducted a survey in a major educational institution to find reasons explaining why Arabic-speakers refuse to speak classical Arabic-rather than local dialects- and why Arabic grammar, specifically, is abandoned. Results proved that 67% of the participants find Arabic grammar the hardest aspect in the Arabic language and blame their teachers for their inability to deliver the rules in an easily comprehensible approach. Other responders claim that Arabic is useless in our modern world and therefore they do not need to learn its grammar.

The research revealed more reasons and consequences which he addressed before calling for the salvation of Arabic grammar to prevent the extinction of the language as a whole. The researcher claims it is its carefully crafted grammar rules that helped it prosper for almost 15 centuries. He hopes the language will reign till the end of time as Allah (SWT) promised to protect the Qur'an which honoured the Arabic Language.

تمهيد

يرجع السبب الرئيس لاختياري لهذا الموضوع إلى كتاب قرأته للمرة الثانية أو بالأصح عاودت دراسته وهو كتاب " الرد على النحاة " لابن مضاء القرطبي[1]، هذا الكتاب أيقظ الضمير النحوي لديّ حيث وجدت دعوة لهدم البناء النحوي الذي ظل مؤسسوه قرابة أربعة قرون يشيدون حتى اكتمل وصار هرما شامخا ولن تستطيع معاول الهدامين النيل منه مهما احتشدوا وجيشوا؛ لأنه استمد أصوله من كتاب الله الخالد وهو القرآن الكريم، وصدق القائل "لولا القرآن ما كانت عربية"[2].

ورغم أن القدماء لم يبحثوا عن الشاهد القرآني بكل جديّة حيث إنهم كانوا معنيين بالبحث

عن الشواهد الشعرية المجهولة وأمثال العرب لاستنباط القاعدة النحوية إلا أنه من الثابت أن النحو العربي نشأ لخدمة علوم القرآن والحديث الشريف، والقواعد التي وضعوها جاءت مطابقة للشاهد القرآني الذي دونه كثير من المحدثين لكل باب أو فرع من فروع النحو، يقول الفخر الرازي عاتبا على النحاة الأوائل"وأنا شديد التعجب منهم، فإذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها، فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان أولى"[3].

فالنحو العربي أنشيء لمقاومة اللحن والفساد اللغوي، وقصة نشأته رغم اختلاف الروايات فيمن وضعه؟ أهو الإمام علي بن أبي طالب أم أبو الأسود الدؤلي بإيعاز من الإمام علي بعد أن قصّ عليه خبر ابنته التي أخطأت[4] فهذا التحقيق لسنا بصدده الآن؛ لأن علماء كثر قد بحثوا في هذه المسألة، والحقيقية الثابتة أنه لدينا بناء متكامل- هو النحو العربي- منذ القرن الثاني الهجري علي يد المدرستين البصرية والكوفية حيث أفرزت المدرسة البصرية الكتابلسيبويه، وهذا الكتاب أطلق عليه قرآن النحو، وذكر الدكتور شوقي ضيف قول أبي عثمان المازني تلميذ الأخفش" من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"[5]. وهذا لأن الكتاب لم يترك شاردة ولا واردة في النحو إلا وضعها، أضف إلى ذلك أن سيبويه كان ثقة؛ لذلك فإن الشواهد الشعرية التي ذكرها – حتى المجهولة القائل- لم يشكك فيها النحاة والنقاد[6].

وفي القرن العشرين ظهرت مجموعة كبيرة من النحاة أو بالأدق الدارسين والمعنيين بالنحو العربي ينادون بحذف أبواب من النحو؛ وحجتهم في هذا أن هذه الأبواب لم تعد تستخدم وبعض منهم يدعو إلى دمج أبواب في أبواب أخرى-كما سنوضح بعد.

ومقابل هذا الفريق فريق آخر يدعو إلى التمسك بكل أبواب النحو كما جاءنا في كتب التراث والقدماء بدءًا من المدرستين البصرة والكوفة واكتمل في صورة كاملة جسدها ابن مالك في ألفيته[7].

لكن السؤال: هل هذه الدعوة– دعوة الحذف أو الدمج – جديدة؟ بالطبع لا، لأنها بدأت منذ القرن الرابع الهجري وتحديدا عند صدور أول كتاب تعليمي وهو

كتاب الجُمَل" للزجاجي المتوفى 337هـ ، حيث ضم الزجاجي في كتابه هذا كل أبواب النحو والصرف بأسلوب سهل.

إذن نحن أمام دعوتين؛ الدعوة الأولى – وهي النقض (الهدم) وإعادة البناء– ممثلة في دعوة ابن مضاء القرطبي المتوفى 592هـ[8].

والدعوة الثانية – وهي دعوى التبديد(الدمج أو حذف أبواب من النحو) تحت شعار تيسير النحو ويقودها مجموعة من المتخصصين والمفكرينالمحدثين.

منهج البحث:

سوف انتهج في هذا البحث منهجين، هما: التاريخي والوصفي حيث إن البحث يذكر دعاوى لنحاة توفوا منذ قرون حتى الدعوات التي ظهرات في العصر الحديث كانت عبر عقود متوالية؛ وللأمانة لابد أن نذكر هذه الدعوات موثقة بالتواريخ لأن هذا يخدم البحث. أما المنهج الوصفي فقد جعل سوسير[9] من خصائصه أنه "يعتمد أولا على اللغة المنطوقة فالمكتوبة ويعد أساسا للدرسات اللغوية " وهذا الرأي يتناسب مع الدعاوى التي ظهرت منذ القرن السادس الهجري فهي تعتمد على اللغة المكتوبة التي تعد من أهم وسائل الاتصال والتواصل بين بني الإنسان، كما أن لها ميزة الدوام وإمكان الاستحضار وإعادة التجربة في الذهن مرة أخرى، وتخطي حدود الزمان والمكان[10] ".

وسوف أتبع الآتي:

1. تعيين السياق أو المقام، لذلك فإن الباحث سوف يلقي الضوء على الأجواء التي أحاطت بالدعوى وقت ظهورها.
2. يراعى التسلسل التاريخي أثناء عرض آراء النحاة واللغويين الأقدم فالقديم فالحديث فالأحدث .
3. يكتفي الباحث بذكر الموقع الإعرابي لأركان الجملة ، ولايذكر العلامة الإعرابية حيث إن ذلك يعدُّ إطالة كما أنه لايؤثر على نتيجة البحث ، فالهدف هوحصر دعاوى النقض والتبديد وتفنيدها.
4. يذكر الباحث الدعوى سواء النقض أم التبديد ثم يفندها.
5. عمل استبيان في إحدى المؤسسات التعليمية لبيان مدى تقبل المتعلمين للنحو واستقراء واقعي للواقع المعاش للغة العربية والنفور منها عامة ومن النحو والقواعد خاصة.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

1. حصر دعاوى النقض (الهدم) والتبديد (الدمج أو الحذف) حسب التسلسل التاريخي.
2. بيان الدعاوى الباطلة الممثلة في الهدم والتبديد .
3. الدفاع عن التراث النحوي؛ لأن النحو جميعه مستمد عن العربية التي وصلت لقمة فصاحتها أثناء نزول الوحي والقرآن الكريم الذي خفظها لنا من الاندثار.
4. تفنيد دعاوى الهدم والتبديد بالحجج والبراهين.
5. الكشف عن أسباب العزوف عن إجادة اللغة العربية الفصحى عامة والنحو خاصة.

المصطلحات:

1. النقض: جاء في لسان العرب مادة (نقض)، النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، والنقض: اسم للبناء المنقوض إذا هدم[11].
2. التبديد: جاء في معجم لسان العرب مادة (بدد) بدد الشيء فتبدد أي فرقه فتفرق، وتبدد الشيء تفرق[12].
3. العامل: تعريفه نحويا- قال ابن الحاجب " والعامل ما به يتقوم المعنى المقتضى"[13].

ويعني بالتقوم؛ معنى الفاعلية والمفعولية والإضافة: كون الكلمة عمدة أوفضلة أو مضافا إليها، وهي كالأعراض القائمة بالعمدة والفضلة والمضاف إليه، بسبب توسط العامل.

4. المسند: هو الفعل في الجملة الفعلية والخبر في الجملة الاسمية.
5. المسند إليه : هو الفاعل في الجملة الفعلية والمبتدأ في الجملة الاسمية.

الدعوة الأولى: النقض

أول من قاد وفتح الباب لهذه الدعوة هو ابن مضاء القرطبي المتوفى 592هـ ، وجاءت هذه الدعوة ممثلة في دعوته (إلغاء نظرية العامل) والمدونة في كتابه "الرد على النحاة" والذي قام بتحقيقه الدكتور شوقي ضيف[14].

الدعوة هي: إلغاء نظرية العامل ، يقول ابن مضاء " قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى النحويُّ عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه.

فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي..."[15]

ونظرية العامل هذه هي التي بُني النحو عليها، وابن مضاء يريد أن يهدمها هدما ساخرا من النحاة بمثال قد ضربه، وهو : ضرب زيد عمرا.

حيث يقول إن النحاة يقولون إن الذي أحدث الرفع في زيد هو الفعل (ضرب) وكذلك النصب في عمرو، وقال " فظاهر أن العامل أحدث الإعراب ، وذلك بيّن الفساد."[16]

واستشهد بأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى 392هـ حيث ذكر نصّا له في كتابه الخصائص، وهو قوله " وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره "[17]

وبالرجوع لكتاب الخصائص الجزء الأول ص (110-111) وجدت الشاهد الذي أتى به ابن مضاء وذكره الدكتور شوقي ضيف في غير موضع، حيث جاء تحت باب في مقاييس العربية ، ويتحدث فيه عن القياس اللفظي والمعنوي ، وهو- أي ابن جني – يرجح القياس المعنوي على اللفظي حيث ساق مثالا للممنوع من الصرف " ألا ترى أن الأسباب المانعة من الصرف تسعة: واحد منها لفظي وهو شبه الفعل لفظا نحو أحمد... والثمانية الباقية كلها معنوية"[18]

وبهذا التأثر بالعامل المعنوي ساق مثالا ويكاد يكون هو عينه ما ذكره ابن مضاء وهو قوله" ومثله اعتبارك باب الفاعل والمفعول به، بأن تقول : رفعت هذا

لأنه فاعل، ونصبت هذا لأنه مفعول. فهذا اعتبار معنوي لا لفظي... ألا تراك إذا قلت: ضرب سعيد جعفرا؛ فإن (ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئا، وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فَعَلَ، فهذا هو الصوت والصوت مما لايجوز أن يكون منسوبا إليه بالفعل."[19].

إذا نخلص من هذا أن صاحب الدعوة لإلغاء نظرية العامل هو ابن جني وليس ابن مضاء ، ودليل ذلك وما ذكره ابن جني – واجتزأ ابن مضاء القول السابق منه، فهذا قول ابن جني" وإنما قال النحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي؛ ليروك أن بعض العمل يأتي مسهباعن لفظ يصحبه؛ كمررت بزيد ، وليت عمرا قائم ، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به؛ كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم؛ وظاهر الأمر، وعليه صفحة القول. فأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره. وإنما قالوا: لفظي ومعنوي لمّا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضاهة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ. وهذا واضح"[20].

وأستطيع أن أقول بعد القول السابق لابن جنى أن ابن مضاء قد فهم كلام ابن جنى على غير ما أراده، فابن جني لم يذهب إلى هدم نظرية العامل بالشكل الذي أراده ابن مضاء.

إذا فهذه الدعوة – النقض- باطلة؛ للأسباب التالية:

- مهد هذه الدعوة هو الأندلس ورائدها ابن مضاء الذي اعتنق المذهب الظاهري؛ والذي يعتمد على الأخذ بظاهر النص الواضح والبسيط، ورفض التعليل والقياس جملة وتفصيلا.
- هذه الدعوة التي لاقت رواجا عند بعض الدراسين ورائدها ابن مضاء؛ أساسها ديني وليس لغويا، فالهجوم غير المبرر على المشرقين خرج من عباءة المذهب الظاهري.
- الأخذ بهذه الدعوة سوف يفتح الباب لتشويه النحو بل لمسخ موضوعاته ومصطلحاته بإعطائها أسماء جديدة مثلما فعل أستاذنا الدكتور تمام حسان- وله كل التقدير- إذا أعلن في كتابه الموسوم بـ "اللغة العربية معناها ومبناها ص/ 231" بسقوط نظرية العامل وإحلال نظرية تدعى" تضافر القرائن"؛ حيث قال "بعد أن بينت طبيعة القرائن المقالية معنوية كانت أو لفظية في دلالتها عن المعنى الوظيفي النحوي أحب أن أضيف إليها كلمة أخرى تتصل بإغناء فهم القرائن المقالية عن فكرة العامل النحوي الذي قال به النحاة".
- العامل النحوي سواء أكان لفظيا موجودا أم معنويا كما في الفعل المضارع المرفوع والمبتدأ هو الدعامة للنحو العربي؛ وبدون هذا العامل يفقد النحو أهم ميزة له وهو الإعراب.
- فالإعراب اصطلاحا- كما جاء في التفسير الكبير لفخر الرازي ت 605هـ ج57/1 - " هو اختلاف أواخر الكلمة باختلاف العوامل بحركة أو حرف تحقيقا أو تقديرا...".

- إذا فالإعراب ونظرية العامل وجهان لعملة واحدة؛ ولا يمكن أن تستغني اللغة العربية عن الإعراب؛ لأن الإعراب إذا انتزع منها فقدت معناها وضل القارئ ولم يستطع تمييز الفاعل من المفعول؛ وسوف أبين أهمية الإعراب في نهاية البحث؛ حيث إنه جزء أساسي من البحث الميداني الذي قمت به.
- وخلاصة قولنا أن دعاة هذه الدعوة ومن حملوا لواءها قد خاب مسعاهم؛ لأن النحو العربي بناء قوي وسيظل متماسكا مهما حاول الهدامون أن ينالوا منه فسيظل عصيًا عليهم؛ لأنه محمي بالقرآن الذي تعهد الله بحفظه إلى قيام الساعة، وكما ذكرت آنفا - في المقدمة- لولا القرآن ما كانت عربية.

العصر الحديث:

وهذه الدعوات الهدامة التي حمل لواءها ابن مضاء لم تخمد تماما بل تهدأ ثم تهيج عندما تجد المناخ المناسب لها، وهذا المناخ هو الركود والضعف الذي تمر به الأمة العربية بين حين وآخر، والشاهد على ذلك أنها ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت إلى منتصف القرن العشرين، وتحديدا مع أول مقال كتب في جريدة " المقتطف " عام 1881م يقترح فيه أن تكتب العلوم باللغة العامية التي يتكلمها الناس، ودعا رجال الفكر والأدب إلى بحث اقتراحه ومناقشته.

وقد تجاوز الإنجليز المدى – حيث كانت مصر ومعظم الدول العربية تحت الاحتلال البريطاني- فقد كتب القاضي الإنجليزي بإحدى المحاكم الأهلية بمصر ويدعى " ولمور" عام 1902م كتابا سماه لغة القاهرة، ووضع للغة هذه قواعد ودعا أن تكون لغة العلم والأدب، بل إنه اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية[21].

وأثار هذا الكتاب حفيظة الغيورين على اللغة العربية فكتب حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة –على لسان اللغة العربية – التي مطلعها:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونوديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب، وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتـي
ولدت ولمّا لم أجدْ لعرائســي رجالا وأكفاءً وأدت بناتي [22]

ولم تقف دعاوى الهدامين عند هذا الحد بل جندوا أعضاءً داخل المجمع اللغوي ليدعوا إلى الكتابة باللغة العامية مثل عيسى اسكندر معلوف، وهو رجل عرف بعدائه الصريح للعربية حيث إن أباه قد صرح وجهر بالدعوة لاستخدام اللغة العامية في الكتابة وراح يضع لها قواعدَ، وثالث الثلاثة هو العضو عبد العزيز فهمي حيث دعا لكتابة العربية بالحروف اللاتينية؛ وذلك عام 1943م ، وظل مجمع اللغة العربية يدرس اقتراحه ثلاث سنوات بل دعم الإنجليز ورحبوا بهذه الدعوى وخصصت الحكومة المصرية جائزة قدرها ألف جنيه لمن يتقدم بأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية[23].

ولم تقتصر هذه الدعوات الهدامة على مصر فحسب بل امتدت إلى سوريا حيث كتب ساطع الحصري عدة كتابات تحت دعوى التيسير حيث إنه نادى بفصل النحو والقواعد عن اللغة العربية؛ فاللغة عنده تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية وتتطور بتطورها، أما القواعد فتتولد من أبحاث العلماء وتتبدل بتبدل النظريات التي

يضعونها،وهي تمثل طرق تفكيرهم في وسائل اللغة وأساليب استنتاجهم لقواعدها[24].

وكان الحصري يتمنى لوطبق منهج اللغة الغربي ومنطقه على النحو العربي، ومثال لما ذكره: أن يلغى التقسيم الثلاثي للكلمة (اسم وفعل وحرف) وأن ننزع من الاسم الضمير واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وجعل التقسيم خماسيا، وهو (اسم – فعل – حرف – ضمير – صفة)، وأن نتبنى النظام الغربي الكلاسيكي، وجعل للفعل قسما رابعا وهو المستقبل؛ أي يكون(ماض – مضارع – أمر – مستقبل)[25].

ولم تلقَ دعوته صدى كبيرا سواء في مصر أم الشام لكن عاد مرة أخرى بعد عقدين وتحديدا عام 1955 حين كتب مقدمة لكتاب بعنوان" اللهجات وأسلوب دراستها" وهو للكاتب أنيس فريحة، حيث ذكر أن النحو ليس وحده الذي يحتاج إلى تيسير بل اللغة عامة ، وحث فيه أن نطعم اللغة الدارجة باللغة الفصحى تطعيما يبعدنا عن حذلقة علماء اللغة ورطانة عوام الناس في وقت واحد فيوصلنا إلى فصحى متوسطة معتدلة.

واعتنق أنيس فريحة آراء أستاذه الحصري حيث صنف كتابا بعنوان" نحو عربية ميسرة " واقترح فيه تثبيت هذه اللغة الوسطى نحويا وصوتيا، وذكر أن هذه اللغة هي التي يستخدمها كثير من المتعلمين، واهتمامه بالشكل الصوتي جعله يدعو إلى الكتابة بالحروف اللاتينية[26].

الدعوة الثانية : التبديد

هذه الدعوة (التبديد) ممثلة في الدمج أو حذف أبواب من النحو، وحجتهم في هذا أن أبوابا كثيرة من النحو لا تدرس وهي مدعاة ومسوغ للعزوف والنفور منه؛ لذلك فهم يرون أن الأولى حذفها والاستغناء عنها أو في أحسن أحوال عند بعضهم دمجها في أبواب أخرى.

ومن أصحاب هذه الدعوة هم محدثون وعلى رأسهم الدكتور شوقي ضيف والدكتور تمام حسان والدكتور مهدي المخزومي والأستاذ إبراهيم مصطفى والدكتور كمال بشر والدكتور إبراهيم السامرائي وغيرهم.

وكتب هؤلاء العلماء – ولهم كل التقدير فهم أساتذتي وعلماء البيان – خير شاهد على دعوتهم؛ فالدكتور شوقي ضيف له كتابان، وهما (تجدد النحو وتيسير النحو) وهو قد تأثر بابن مضاء حين حقق كتابه (الرد على النحاة) لذلك سار على دربه لكنه كان أخف حدة وطالب بحذف أبواب ودمج أخرى.

وسوف أقف على آراء الدكتور شوقي بشيء من التفصيل، إذ إنه تأثرَ بالدعوة الأولى من خلال تحقيقه كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، وهذا التأثر كان واضحا وجليًا في تعليقاته على أقوال ابن مضاء، وهذا قوله:"وما من ريب في أن إلغاءها يتيح لنا أن نصنف النحو بشكل آخر "[27]

وتبنى شوقي ضيف دعوة ابن مضاء التي أساسها إلغاء نظرية العامل حيث

قال " هذا هو الأصل الذي ينبغي أن نتكأ عليه في تصنيف النحو تصنيفا جديدا. فنحن في هذا التصنيف الجديد لن نُعْني بالعوامل ، ولا بما يتصل بتقسيم النحاة لها بين عوامل قوية وضعيفة"[28].

ومن هنا بدأت دعوته المبنية على إلغاء نظرية العامل والمستمدة في أساسها من دعوة ابن مضاء القرطبي.يقول شوقي ضيف " وإن هذا التصنيف الجديد للنحو، على قاعدة أحوال الكلمات لا على قاعدة العوامل، ليُلغي حقا كثيرا من أبواب النحو وفصوله. وخير مثل يصوّر ذلك أبواب نواسخ المبتدأ والخبر من مثل كان وأخواتها، وما ولا الحجازيتين، وإنّ في لغة أهل العالية، وإنَّ وأخواتها، ولا النافية للجنس، وكاد وأخواتها، وظن وأخواتها، وأعلم وأرى. فهذه كلها أبواب أقيمت على أساس نظرية العامل"[29].

وبدأ الدكتور شوقي يفصّل كيفية الدمج ، يقول " فباب (كان) يدمج في باب الفعل العام، لأن كان فعل،وليس يهمنا أن يكون تامًّا أو ناقصا، ومن أجل ذلك نعرب المرفوع بعدها فاعلاً، أما المنصوب فنعربه حالا، وهو رأي الكوفيين في إعراب خبرها"[30].

وهذا القول يمكن أن نفنده بالتالي:

- أن (كان وأخواتها) تدخل على الجملة الاسمية فتحدث الرفع في المبتدأ – الذي هو في الأصل مرفوع – وتنصب الخبر،وهي بدخولها هذا تفيد معنى معين لم يكن موجودا قبل دخولها عليه وهو الزمن سواء الماضي مثل قولك : كان الامتحانُ سهلاً ، أم الاستمرار مع الله عزّ وجل نحو قوله تعالى {وكان الله غفورا رحيما }[31].

فهي تحدث تأثيرا زمنيا، وإدماجها في باب الأفعال سوف ينفي عنها هذه الخاصية.

- ونستطيع تدعيم هذا القول بما جاء في كتاب اللمع لابن جني، حيث يقول في (باب كان وأخواتها) " وهي: كان، وصار، وأمسى...وما كان في معناهن مما يدل على الزمان المجرد من الحدث، فهذه الأفعال كلها تدخل على على المبتدأ والخبر ، فترفع المبتدأ ويصير اسمها، وتنصب الخبر ويصير خبرها"[32].

وهذا دليل على أن (كان) وأخواتها تدخل على الجمل الاسمية لتعيين الزمن؛ لأن الفعل هو (حدث + زمن) وابن جني في تعريفه لهذه الأفعال قال: إنها تدل على الزمن المجرد من الحدث.

وذكر أنها هي التي عملت الرفع في المبتدأ والنصب في الخبر.

- وإذا قيل إنها تأتي تامة فترفع فاعلاً نحو قوله تعالى { وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة}[33].

فهي هنا فعل ماضٍ رفع فاعلاً (ذو)، و(عسرةٍ) مضاف إليه، ولم تنصب خبرا؛ حيث اكتفت برفع الفاعل.

- فلو تمَّ دمجها فقدت خصيصة هامة من خصائص (كان وأخواتها العشرة في هذا العمل وهو أن تكون تامة وأصبحت مثل أي فعل نحو ضربَ وشربَ وأكلَ ...).

- يوجد ثلاثة أفعال من أخوات كان لا تعمل إلا ناقصة (زال – فتئ – ليس) فلو تمَّ دمجها فقدت خاصية الاستمرار، والفعل (ليس) فقدَ خاصية النفي.
- أن الفعل (كان) دون غيرها من أخواتها لها عدة خصائص، وهي أنها:
تأتي زائدة في تراكيب معينة، نحو قولك : ما كان أحلمَ المعلم !
ويجوز حذفها مع اسمها ويبقى خبرها، نحو قولك : احذر الكذبَ ولو خفيفا.
بتقدير (ولو كان الكذبُ خفيفا).
ويجوز حذف نون مضارعها المجزوم لكثرة الاستعمل نحو قوله تعالى{ ولم أكُ بغيا}[34].

- وبالرجوع إلى قول الكوفيين وجدت رأيهم مذكورا في أكثر من كتاب نحو كتب اللمع لابن جني[35]، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري[36]، والهمع للسيوطي[37]؛ ولكني سأقف على قول ابن جني حيث ذكر في (باب كان وأخواتها) قوله" وهي: كان، وصار، وأمسى...وما كان في معناهن مما يدل على الزمان المجرد من الحدث، فهذه الأفعال كلها تدخل على على المبتدأ والخبر ، فترفع المبتدأ ويصير اسمها، وتنصب الخبر ويصير خبرها"[38].
إذن ضم أو دمج باب كان وأخواتها مع الأفعال غير مقبول ، وكذلك إعراب خبرها حالا مردود عليه ونستطيع تفنيده أيضا كالتالي:

- أن كل الأمثلة لا نسيطع تأويلها أو نجد معنى الحالية فيها؛ فيمكن أن نتقبل الحالية في قولنا:
كان محمدٌ سعيدا.
يمكن تفسير إعرابهم (كان : فعل ماضٍ ، محمدٌ: فاعل مرفوع، سعيدا: حال منصوب)
وهذا هو رأي الفراء: أن الاسم ارتفع لشبهه بالفاعل، وأن الخبر انتصب لشبهه بالحال، فـ" كان" زيدٌ ضاحكا مشبّه عنده: بـ " جاء" ريدٌ ضاحكا [39].
لكنْ هل يمكن أن نتقبل الحالية في قولنا: كان المهندسُ أحمدَ .
فما معنى الحالية فيها، كما أن الحال يشترط فيه أن يكون نكرة و(أحمد) معرفة ؛ إذن هذا القول مردود عليه، والصواب هو رأي الجمهور في أن (كان وأخواتها أفعال ناقصة) ترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها.

ويستمر الدكتور شوقي ضيف في عرضه لخطته في دمج أبواب في أخرى، يقول " وأما ما ولا في لغة الحجازيين وإن في لغة أهل العالية، فإننا نعرب المرفوع معها جميعا مبتدأ والمنصوب خبرا، وكل ما في المسألة أن الخبر ينصب في هذا الباب، وهم أنفسهم يسمونه خبرا، فلماذا لا يسمون المرفوع مبتدأ، وقد جاء الخبر مرفوعا في مثل يُقرّه النحاة وهو(ضربي العبد مسيئا)غير أنهم يعربونه حالا، ولكننا لا نوافقهم في هذا الإعراب، بل نحن نعربه خبرا منصوبا، تعميما للقواعد"[40].
ويمكن الرد على هذا أن (ما الحجازية) اختلفت اللهجات القديمة في الحالة الإعرابية للاسم الثاني بعد (ما) النافية ، فلهجة أهل الحجاز تجعل الاسم الثاني بعد (ما) خبرها منصوبا نحو المثالين اللذين أوردهما سيبويه في الكتاب: ما عبد الله

أخاك ، ما زيد منطلقا [41] . فيشبهونها بليس نحو قوله تعالى{ما هذا بشرا}[42]
أما لهجة بنو تميم فيجرونها مجرى (أما وهل) ولذلك فالاسم الثاني عندهم يكون مرفوعا. فلغة أهل الحجاز هي التي تتفق مع العربية الفصحي وهي التي جاءت مطردة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم متفقة معهما في أغلب الظواهر، أما لهجة تميم فإنها لا تمثل العربية الفصحى في كل مظاهرها.[43]

وقد فند هذا القول الدكتور محمد فاضل صالح السمرائي حيث فسّر المثال السابق الذي استند إليه الدكتور شوقي ضيف بأن (لو كان مسيئا خبرا لصار المعنى أن الضرب هو المسيء وليس العبد، ولامعنى حينئذ للعبارة، لأن المعنى المقصود للجملة هو: ضربي زيدا حالة كونه مسيئا).

وساق مثالين ليدعم بهما رأيه، وهما:

ضربي هندا مسيئة، أكلي الفاكهة ناضجة. إذا لا يصح في المثال الأول (مسيئا) ولا في الثاني (ناضجا)[44].

ورافق دعاوى الدمج أو الحذف دعوات تستتر تحت تيسير النحو، وهذه الدعاوى ليست جديدة- كما يبدو للبعض- إنها بدأت منذ القرن الرابع الهجري- كما ذكرت في التمهيد- حيث ظهرت كتب تعليمية في النحو وأول كتاب ظهر في هذا الميدان هو كتاب" الجُمَل" للزجاجي المتوفى 337هـ ، حيث ضم الزجاجي في كتابه هذا كل أبواب النحو والصرف بأسلوب سهل وموجز. وتوالت الكتب التعليمية من حينها حيث ألف أبو علي الفارسي المتوفى 377هـ كتابين تعليميين هما (الإيضاح) في النحو و(التكملة) في الصرف، وألف ابن جني المتوفى 391هـ كتابه (اللمع)، وهذه الكتب موجزة رغم أنها تضم كل الأبواب؛ لأنها كتب تعليمية.

العصر الحديث:

ومن الذين دعوا إلى إلغاء الإعراب الكاتب أحمد أمين؛ فهو يرى أن الحل في النهوض باللغة وانتشارها هو إلغاء الإعراب ؛ حيث إن الإعراب يعد الصعوبة الأساسية في انتشار اللغة الأدبية[45].

وعلى هذا النحو بل أشد نادى سلامة موسى باسقاط أبواب من النحو أو تعديل بعض قواعده، كما أنه من دعاة العامية وترك الفصحي[46].

أما إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) فإنه قد حاول أن يثور ثورة في النحو لكنه لم يوفق ربما لأن الدارسين لم يتقبلوا مادعا إليه حيث إنه جعل الرفع علم الإسناد ودليل أن الكلمة يتحدث عنها، وأن الجر علم الإضافة سواء أكانت بحرف أم بغير حرف، وأن الفتحة ليست بعلم على إعراب؛ ولكنها الحركة المستحبة التي يجب العرب أن يختموا بها كلماتهم، ومن ثم فإن النصب الذي لقي عناية فائقة من النحاة القدامى فقد أهميته وأصبح أقل ثقلا عند طالب اللغة.

في الآونة الأخيرة وتحديدا منذ منتصف القرن العشرين بدأت دعوات كثيرة على أيدي النحاة واللغويين تظهر لمعالجة أوسد الفجوة بين النحو كقواعد وفهمه وتيسيره للدارسين كي يستطيعوا فهمه وتقديمه بطريقة بسيطة وميسرة، ومن هؤلاء اللغويين:

- أحمد أمين ، حيث يقول " وأهم فرق بين اللغة العامية والفصحى وأهم صعوبة في انتشار اللغة الفصحى - في نظري - هو الإعراب ؛ لقد فشلنا في تعليمه حتى للخاصة والمثقفين. فهذا متخرج الجامعة قد صرف تسع سنوات على الأقل في المدارس الابتدائية والثانوية يتعلم النحو، ثم عددا من السنيين في الجامعة ومع ذلك قل جدا من يستطع أن يكتب صفحة خالية من الخطأ النحوي- ومثلهم المثقفون ثقافة عامة ومن قرأوا لأنفسهمكثيرا وكتبوا كثيرا، فكيف نطمع أن نصل إلى نتيجة باهرة إذا أردنا نشر تعليم اللغة في أوساط العامة"[47]
- الدكتور كمال بشر في كتابه (علم اللغة الاجتماعي- مدخل) حيث دعا إلى دراسة أبواب النحو في ضوء المقام أو الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات، حيث تتمثل عناصره الأساسية في شخصية كل من المتكلم والسامع والعلاقة بينهما، والمكان وما فيه من شخوص وأشياء... ثم أشار إلى أن المقام قاسم مشترك بين البلاغيين والنحويين[48].
- الدكتور محمد أبو الفتوح شريف في كتابه (التركيب النحوي وشواهده القرآنية) حيث ركز في الكتاب على جانبين، وهما: جانب التركيب وجانب الأسلوب، متخذا من الشاهد القرآني ركيزة أساسية حيث أشار بقوله "أما عن الشواهد القرآنية التي آثرت أن أزين بها جيد كتابي موضوعا وعنونا: فلعل قراءنا وجميع دارسي العربية وباحثيها يعلمون علم اليقين مدى القدسية التي هي للشاهد الشعري عند النحاة، وكيف عني النحاة الأوائل بشاهد الشعر في تأصيل القاعدة ... فعنوا بالشعر، وأقوال أجلاف العرب أحيانا، دون الشاهد القرآني"[49]

وحاول في هذا الكتاب- الذي يضم ثلاثة أجزاء- أن يعالج الموضوعات النحوية من خلال ثلاثة مستويات؛ المستوى الأول: يضم النحو بطريقة ميسرة مدعما كل موضوع بالشاهد القرآني.

أما المستوى الثاني فيضم القواعد التفصيلية، والشاهد الشعري، والخلافات النحوية. والمستوى الثالث خصصه لعرض ألفية ابن مالك مع وضع عنون لكل بيت أو مجموعة أبيات تعالج مسألة معينة.[50]

- وفي ضوء التراكيب حاول كثيرون أن يقدموا الجملة للدارس بطريقة جديدة بعيدة عن المسمي المدون به بين دفتي كتب القدماء فأطلقوا مصطلح التركيب الفعلي بدل الجملة الفعلية، والتركيب الاسمي بدل الجملة الاسمية ... ومن هؤلاء الدكتور محمد عبادة في كتابه (الجملة العربية)

حيث جعل الجملة مفصلة للدارس بتعيين المسند والمسند إليه والمكمل أو المتمم أو الفضلة التي تتم بها المعنى.

وأصبحت الكتب تعنون بالواضح نحو كتاب علي الجارم (النحو الواضح) أو المصفى نحو كتاب الدكتور محمد عيد (النحو المصفى) أو الوافي نحو كتاب عباس حسن (النحو الوافي).

وظهرت عدة كتب في صورة جداول مثل كتاب (النحو الوظيفي) لعبد العليم إبراهيم، أومعاجم حتى أن مصنفيها غير متخصصين في العربية مثل (معجم

اللغة العربية) لأنطوان الدحداح – وهو عقيد سابق بالجيش اللبناني.

الواقع المُعَاش للنحو العربي

النحو العربي يعيش مخاضا عسيرا خاصة في ظل التحديات التي تواجه اللغة العربية؛ مثل الغزو الفكري القادم من الغرب، وسوق العمل الذي يتطلب إجادة اللغة الإنجليزية، أضف إلى هذا انتشار وسائل التواصل الاجتماعي نحو(الفيس بوك وتويتر والوتس أب وغيرها) كل هذه العوامل جعلت المستخدمين لها يستعملون ألفاظا وتراكيب لا تخضع لتركيب أو بناء الجملة نحويا ناهيك عن الأخطاء النحوية والإملائية الفادحة التي تكتظ بها رسائل المستخدمين.

منذ ثلاثة عقود حينما كنت في المرحلة الثانوية كنت أسمع أكثر زملائي يقول: الإعراب يقدر بخمس درجات سأتركه لأنني لا أعرف أعرب؛ والآن الأمر أسوأ ، لقد أعددت استبيانا يحمل عنونا "لماذا العزوف عن اللغة العربية؟ " وأجاب على هذا الاستبيان 129 شخصا ممن يتحدثون العربية من بلدان شتى (مصر – السعودية – البحرين – السودان – العراق – لبنان – فلسطين – ليبيا – سوريا ...) لأنني أعمل في مؤسسة تعليمية دولية، وجاءت النتيجة مؤسفة للغاية لكنها كانت متوقعة في ظل الواقع المُعَاش والتحديات التي تحدق بالعربية.

لقد قمت بإعداد استبيان في الحقل التعليمي الذي أعمل به في مملكة البحرين؛ حيث إنه يضم جنسيات شتى –كما ذكرت آنفا- كان عدد المشتركين 104 أشخاص عرب، لكنهم يتفاوتون في العمر والثقافة والجنسية، وجميعهم يعمل أو يدرس أو يدرّس في الحقل التعليمي، تضمن الاستبيان ستة عشر سؤالا، وهي:

1- كم عمرك؟
2- هل تحب اللغة العربية؟
3- ماذا تعني لك العربية؟
4- كم سنة وأنت تتحدث العربية ؟
5-كم لغة (تتحدثها – تفهمها – تقرأها)؟
6- هل تتحدث الفصحى بطلاقة؟
7- هل أنت راض عن مستواك في اللغة العربية؟
8- المدرسة التي درست بها حكومية أم خاصة؟
9- هل تتحدث اللغة العربية منذ نشأتك؟
10- هل تتحدثها في المنزل؟
11- ما سبب ضعفك أو ابتعادك عن اللغة العربية؟ الإجابات جاءت متباينة حول هذا السؤال(أربعة أقوال).هل أنت فخور بها؟
12- هل تحتاجها في حياتك اليومية؟
13-هل تقرأ كتبا عربية؟
14- عل تتابع برامج عربية؟
15-هل تشجع الغير على تعلمها؟
16- في أي فرع ترى نفسك ضعيفا؟

17- هل أنت فخور بها؟
18- هل تريد أن تنمي مهارتك في اللغة؟
19-هل أنت من الراغبين في تعميم الفصحى في المجتمع؟
20- برأيك، ما هو سبب تراجع اللغة العربية؟
21- في رأيك، هل إعادة إحياء اللغة العربية أمرٌ مهم؟
22- في تصورك، كيف نستطيع حذب العرب للغتهم مرة ثانية؟
بالنسبة للسؤال الأول، أعمار المشاركين:

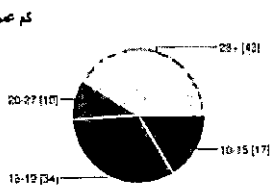

10-15	17	16.3%
16-19	34	32.7%
20-27	10	9.6%
28+	43	41.3%

يوضح الرسم البياني أن:
أعمار الذين أجابوا على الاستبيان، 43% عمرهم فوق الثامنة والعشرين، والأقلية تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشر ، ومن هم في المرحلة الثانوية والتي تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة يمثلون 34%.

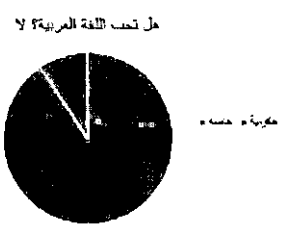

والذي يثير الانتباه- رغم أنه كان متوقعا- أن إجابة السؤال رقم 16 كانت كالتالي:
- 67% أجابوا: القواعد النحوية والإعراب هو الفرع الذي يصعب عليهم فهمه.

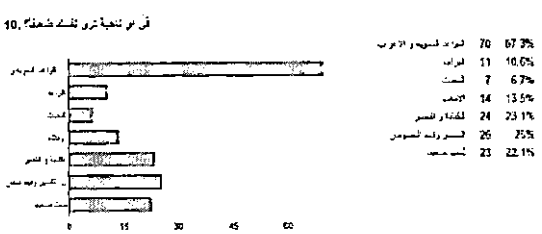

	70	67.3%
	11	10.6%
	7	6.7%
	14	13.5%
	24	23.1%
	26	25%
	23	22.1%

وهذا يبين أن الناطقين للعربية سواء أ كانوا طلابا أم معلمين أم عاملين يصعب عليهم النحو الممثل في استنباط القاعدة وإعراب الكلمات داخل الجمل والتمييز بين المرفوع والمنصوب في الأسماء والفعل المضارع، والمجرور في الأسماء والمجزوم في الفعل المضارع...

كما يبين الرسم البياني أن الذين يعانون من ضعف في القواعد النحوية والإعراب لديهم ضعف و

أما بالنسبة للسؤال السادس فجاءت النتائج كالتالي:

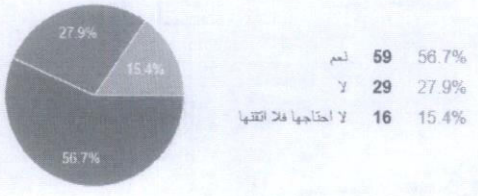

بالنسبة للسؤال الحادي عشر جاءت الإجابات كالتالي:

1

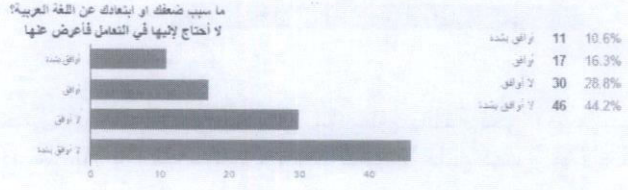

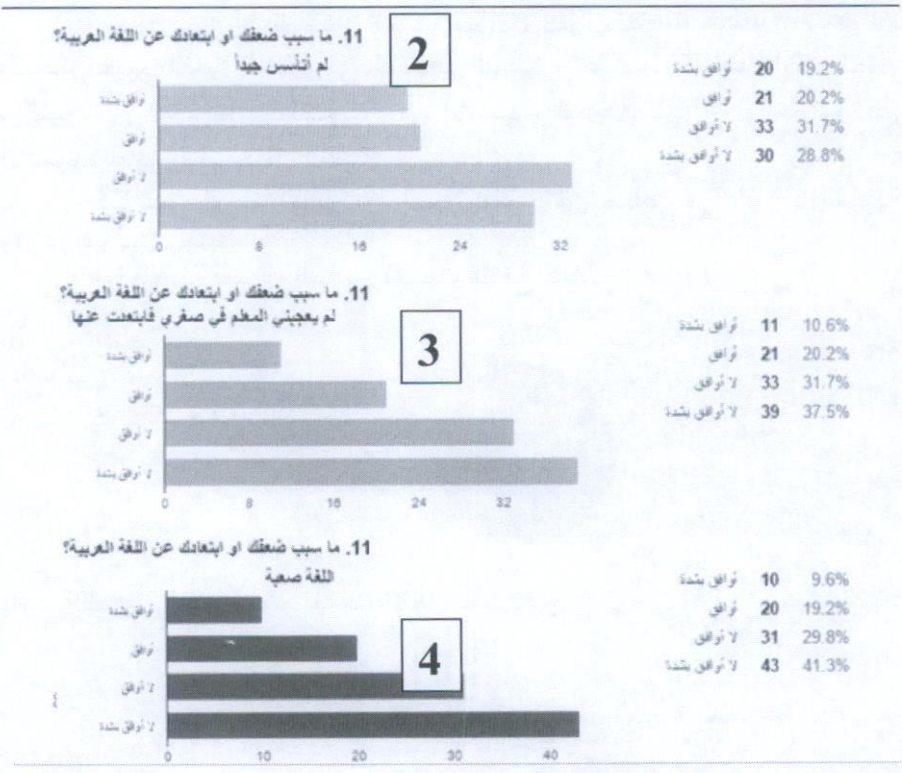

ومن خلال الرسم البياني نجد أن ما يعلق باللغة نحو (صعوبتها) نجد أن نسبة 26% فقط هم من يرونها صعبة، وهذه نسبة لا بأس بها، وهؤلاء قد يرجعون صعوبتها لكونهم لم يتأسسوا منذ الصغر؛ وهم يمثلون في الرسم البياني نسبة 39.4% ، أو كونهم لم يعجبهم طريقة المعلم في عرض الدرس وتوصيل المعلومة بطريقة بسيطة وسلسة وهؤلاء يمثلون ما يقرب 31%.

أما المحزن حقا هو، أن نسبة 26.9% يقولون: إننا لا نحتاج إليها ويتحدثون الإنجليزية أو الفرنسية؛ وهذا يرجع إلى سوق العمل وخاصة دول الخليج حيث إن الشرط الأول هو إجادة اللغة الإنجليزية، أو التعامل داخل المنزل حيث إن أحد الزوجين تجده من جنسية غير عربية والأولاد في مدارس أجنبية فتجد اللغة المشتركة للأسرة- للأسف رغم أنهم عرب- هي الإنجليزية .

هل انت ممن يرغب في تعميم الفصحى في المجتمع؟

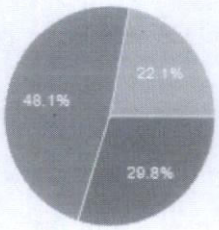

نعم	31	29.8%
ربما	50	48.1%
لا	23	22.1%

المشكلة الرئيسة:

يعد الإعراب وصعوبته هو الورقة التي أمسك بها سواء الهدامون أم المبددون أم دعاة التيسير، وبها يلوحون في وجوه المحافظين والداعين إلى حفظ التراث- وأشرف أن أكون واحدا منهم- فما الإعراب؟

الإعراب لغة: مصدر أعرب، يقال أعرب في كلامه إذا أبان وأفصح، والإعراب والتعريب بمعنى وهو الإبانة والإفصاح [51].

والإعراب اصطلاحا: هو مجموعة من العلامات اللفظية تدل على فوارق دلالية، وغاية هذه العلامات: التوضيح، والبيان، ورفع اللبس والاحتمال عن الكلم، بالتفرقة بين معانيها النحوية المختلفة شأنها في ذلك شأن لام التعريف، وتاء التأنيث، وألف الاثنين، والتضغير والجمع... [52].

وهذا الإعراب هو الذي يميز العربية عن غيرها من لغات الدنيا، حيث تنفرد بنسيج خاص في ترتيب أجزاء جملتها وكيفية الربط بين هذه الأجزاء في السياق اللغوي بحيث يكون لكل جزء وظيفة واضحة في هذا السياق كما توجد علاقة متبادلة تجمع كل هذه الأجزاء المكونة للجملة.

وكما قال عباس العقاد ردًا على دعاة إهمال أو إلغاء الإعراب في مقالة له بعنوان – حرب اللغة- "إن الإعراب أيسر للفهم من إهماله، ومن ثم ينبغي المحافظة عليه"[53]

وا لسؤال: هل يجوز استخدام الإعراب في العامية والفصحى معا؟

للعربية صورتان:

- العربية الفصحي وهي التي ورثتها عن السامية الأم وكان يتحدث بها في القرون الأولى منذ الجاهلية والقرون الأولى منذ بزوغ الإسلام ، وهي ما زالت موجودة إلى الآن في صور مختلفة أهمها: القراءات القرآنية المتواترة الصحيحة.
- العربية الحديثة التي انفصلت عن الصورة الأولى وفقدت أهم خصائص العربية وهي خاصية الإعراب وتتمثل في اللهجات العربية التي يتحدث بها الناس في كلامهم العادي[54].

ويرجع الباحثون تاريخ ضياع الإعراب من اللغة العربية في صورتها الحية إلى عدة عوامل؛ وعلى رأسها اختلاط العرب بالعجم حيث فشا اللحن وفسدت الألسنة

وخاصة في مكة حيث وفود كثير من غير العرب الذين دخلوا في الإسلام، وذلك ابتداءً من منتصف القرن الأول الهجري ، وهذا ما يرجحه الدكتور رمضان عبد التواب، أما البدو فقد ظلت لغتهم سليمة لعدة قرون؛ لأنهم كانوا بعيدين عن هذا الاختلاط[55].

ونرد على كل معتدٍ أو مغالٍ أو مزايدٍ على ظاهرة الإعراب، فأقول:

- لولا الإعراب لما استطعنا أن نميز بين فاعل و مفعول أو مضاف إليه ونعت أو حال... ؛ وما استطعنا أن نعرف المعنى المراد من الجملة، كيف نميز بين الضارب والمضروب إن لم نضع علامة الإعراب في قولنا: ضرب إبراهيمُ أحمدَ.

وكيف نميز الفاعل في قوله تعالى{ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ}[56] وقد عهد الدارسون أن الفاعل يأتي وراء الفعل مباشرة، والمفعول يأتي بعد المسند والمسندإليه؛ وإن لم نضع علامة الإعراب لم يدرك القارئ أن الخوف محصور في العلماء؛ لأنهم أكثر الناس إدراكا لجلال قدرته.

- فبهذه الحركات يتبين المعنى المراد للمتكلم ويصيب هدفه من الكلام، فلو قال: "ما أحسن محمد" دون أن يضع حركات الإعراب على آخر حرف من الكلمة لاختلط الأمر على السامع فقد يظن (ما) هنا استفهامية، وعندما يضع الحركات هكذا" ما أحسنَ محمدا "فقد أبان عن المعنى المراد وهو التعجب.

والميزات كثيرة والمقاصد من الإعراب أكثر، وقد وقف المحدثون عند هذه القضية وقفة، وانقسموا إلى ثلاث فرق، وهم:

- الفريق الأول: يؤيد الرأي القائل بأن الحركات الإعرابية تدل على المعاني النحوية ، ومن هؤلاء:

دكتور صبحي الصالح[57] والدكتور رمضان عبدالتواب[58] والدكتور إبراهيم السامرائي[59] والدكتور تمام حسّان[60] والأستاذ إبراهيم مصطفى[61] والمستشرق الألماني يوهان فك[62].

الفريق الثاني : ويتزعمه الدكتور إبراهيم أنيس مساندا لما جاء به قطرب من أن الحركات الإعرابية لا مدلول لها ، وقد سجل هذا في كتابه " من أسرار العربية، حيث يعتبر أن ظاهرة الإعراب هي قصة محبوكة ومنسوجة في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني الهجري"[63].

الفريق الثالث: وهم دعاة نحو النص؛ الذين يريدون أن يمحوا نحو الجملة ويجعلون مكانه نحو النص، وحجتهم في هذا أن نحو الجملة لم تعد هناك حاجة إليه لتجمده، أو لأنه نضج حتى احترق، وهذا ما جاء في كتاب (نظرية النص وموضوع النحو لهورست إيزنبرج) ترجمة د. سعيد بحيري، وللأمانة أن الدكتور سعيد بحيري قد خطأ هورست في نظريته هذه؛ مبينا أن علم لغة النص لم يكن بمعزل عن علم نحو الجملة، ولم يقم على إلغاء قواعده وبناء قواعد جديدة[64].

ويمكن الرد على هؤلاء بأن النص هو مجموعة جمل، وما زالت البحوث تتوالى في هذا المجال بين مؤيد ومعارض، فالبعض يرى أن نحو النص أشمل

وأعمق من نحو الجملة، والبعض الآخر يرى أنهما متكاملان، ومنهم من يرى أن نحو الجملة تمهيد لنحو النص[65]. فقد أكد الكثير من أساتذة علم اللغة أن علم اللغة النصي هو " حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوفر فيه سبعة معايير نصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير؛ والمعيار الأول هو: السبك أو الرابط النحوي..."[66]

إذن لا يمكن الاستغناء عن نحو الجملة في ضوء نحو النص الذي يدعون إليه؛ فالنص يرتكز إرتكازا شديدا على نحو الجملة ولا يمكن الفصل بينهما،ويدعم هذا ما جاء به الدكتور سعيد بحيري يقول "غير أن تجاوز نحو النص حدود الجملة في التحليل يطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أوجب للتفسير..."[67].

ونحو الجملة لم يكن الاهتمام به من قبل النحاة العرب فحسب بل كان اهتمام المدارس الوصفية والتحويلية التوليدية؛ لكن – كما ذكر الدكتور محمد العبد " عُدَّ علم لغة النص في رأيهم- يقصد رواد المدارس السالفة الذكر- تطويرا وتوسيعا لعلم لغة الجملة...وقد استطاع هاريس بمناهجه النصية المبكرة التي اعتمدها في تحليل الخطاب تطوير المناهج البنائية في تحليل الجملة"[68].

إذا نحن مع الرأي القائل أنهما متكاملان؛ وذلك لأن التطور سنة من سنن الحياة ولابد أن نرتضيه مادام في غير انفصال عن القديم والموروث النحوي.

وخلاصة القول في هذا:

- إنَّ التطوير والتيسير المنشود الذي دعا إليه العلماء الأفاضل -قد ذكرت أسماء الكثير منهم آنفا- فهم يتوجهون به إلى جمهور متعلمي اللغة العربية ومن يدرسونها سواء في مراحلها الأساسية أي من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية أم الناشئة أم لغير المتخصصين من المثقفين أم المعلمين أنفسهم؛ فهم أجمعوا على أنها محاولة تقريب النحو لهذه الفئات وطرحها بأسلوب علمي رصين بعيد عن التفريعات والعلل والتأويلات.

- فهم اجتمعوا وتوحدوا في الدعوة ولكنهم اختلفوا في التسمية؛ منهم من قال: تجديد، ومنهم من قال: تيسير، ومنهم من قال: إحياء... لكن هدفهم واحد وهو بتر أجزاء من النحو أو اختصاره أو اختزاله في أبواب بعينها.

- الدرسات في هذا الشأن مستمرة -لأنه يخص أهم فروع العربية وهو النحو- ومنها على سبيل المثال لا الحصر دراسة قام بها الدكتور حسن منديل حسن العكيلي وهي بعنوان "تيسير النحو بين المحافظة والتجديد " متخذا من الأستاذ عباس حسن أنموذجا للوسطية؛ إذ إنه قام بتقسيم أصحاب هذه الدعاوى إلى قسمين؛ وأطلق على القسم الأول (المجددون) الذين يرون أن النحو لابد من يخلو من نظرية العامل، والإعراب التقديري والمحلي، وإلغاء بعض الموضوعات... أما أصحاب القسم الثاني (المحافظون) فإنهم يقتصرون على الحذف والاختصار لبعض الموضوعات والتغيرات الشكلية وترتيب الأبواب دون المساس بجوهر النحو[69].

والدكتور حسن منديل كان بحثه الهدف منه أن يظهر الأستاذ عباس حسن أنه وسطيّا حيث إنه جمع بين الاثنين فهو محافظ ومجدد والشاهد على هذا كتابه

(النحو الوافي) [70].

- المتخصصون في العربية هم المعنيون بدارسة أصولها كما هي مدونة في التراث لتذوق النصوص وفهم أسرار العربية . فالدعوة- أعني دعوة الفريق الثاني الذي ذكرته وهو الداعون إلى إلغاء الحركات الإعرابية والمجددين الذين جاء بها الدكتور حسن منديل في بحثه سالف الذكر - ناقصة وغير وافية؛ لذلك فهي هشة وأسقطها الزمن.

ولا أنكر ما جاء به المحافظون الذين ذكرهم الدكتور حسن منديل، حيث إن النحو فيه بعض الجمود حيث قصّر النحاة المتأخرون- كما ذكر الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف[71] – "غاية النحو على تمييز صحيح الكلام من فاسده وضيقوا مجاله حول دائرتي الإعراب والبناء، وأصبح بهذا المفهوم غير قادر على كشف أسرار التراكيب، وهذا هو الذي دفع عبد القادر الجرجاني لوضع نظرية النظم التي تقوم على التفسير الدلالي للنص.

الخاتمة

كشف البحث عن نتائج عدّة، أهمها:

1. أن أول من نادى بإلغاء نظرية العامل هو ابن جني التوفى 392هـ وليس بن مضاء القرطبي كما هو شائع بين الدارسين، وقد ذكر ذلك ابن مضاء في كتابة "الرد على النحاة"، وهذا النص الذي نقله ابن مضاء موجود في كتاب الخصائص لابن جني الجزءالأول صفحة 110.
2. دعاوى الهدم التي تعرض لها النحو العربي بلغت أشدها في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت إلى منتصف القرن العشرين، حيث إن هذه الحقبة كانت معظم الدول العربية تحت وطأة الاحتلال البريطاني، وأن القضاة والمستشرقين الإنجليز كان من المروجين والداعمين لهذه الدعاوى.
3. دعاوى التبديد استترت تحت مسميات أخرى نحو (التيسير والإصلاح والتطوير) وتبناها مفكرون ولغويون نحو أحمد أمين وسلامة موسى وساطع الحصري وأنيس فريحة وآخرون.
4. الإعراب ميزة وليس عيبا أو عائقا في تعلم اللغة، فهذا الإعراب هو الذي شرف العربية وجعلها لغة حية قادرة على الصمود طوال هذه القرون، وكما قال الأستاذ العقاد "إن الإعراب أيسر للفهم من إهماله، ومن ثم ينبغي المحافظة عليه"
5. الأخذ بدعوة ابن مضاء -إلغاء نظرية العامل- سوف يفتح الباب، لتشويه النحو بل لمسخ موضوعاته ومصطلحاته بإعطائها أسماء جديدة مثلما فعل أستاذنا الدكتور تمام حسان- وله كل التقدير- إذا أعلن في كتابه الموسوم بـ "اللغة العربية معناها ومبناها ص/ 231 " بسقوط نظرية العامل وإحلال نظرية تدعى" تضافر القرائن" .
6. تأثر الدكتور شوقي ضيف تأثرا كبيرا بابن مضاء القرطبي، لأنه حقق كتابه "الرد على النحاة" وترجم ذلك بالمنادة بإصلاح وتطوير وتجديد النحو، وأفرز ذلك عن تصنيف كتابين وهما: تجديد النحو، وتيسير النحو التعليمي.
7. النحو العربي تراث شامخ لايجوز المساس به، ومن يرد أن يدعى التطوير أو التيسير أوالإصلاح فعليه بأخذ موضوع أو باب ويشرح منه مايشاء دون كسر للقواعد المتفق عليها بين جمهور النحاة والمتمثلة في المدارس النحوية (البصرية – الكوفية – البغدادية – المصرية).
8. وجود ثلاث فرق فيما يخص ظهور العلامة الإعرابية على آخر الكلمة، فهي ضرورة لكي نميز الفاعل من المفعول والمضاف إليه من الحال وغيرها وبها يتم المعنى، فالإعراب فرع المعنى، وبناء عليه نحن نؤيد الفريق الأول الذي يمثله صبحي الصالح ورمضان عبد التواب وإبراهيم السامرائي وآخرون.
9. بطلان الزعم القائل بأن نحو النص قد حلَّ محل نحو الجملة لتجمده، وقد فند هذا القول - الذي نادى به المستشرق لهورست إيزنبرج- الدكتور سعيد بحيري حيث أثبت أن علم لغة النص ليس بمعزل عن نحو الجملة.
10. توصل الاستبيان إلى أن أصعب فرع من فروع العربية هو النحو ، حيث يجد الناطقون بالعربية صعوبة في فهمه، وذلك لأن الكثيرين منهم لم تكن تعجبهم طريقة المعلم في الشرح أو توصيل المعلومة، ويشعرون – للأسف – بأنهم ليسوا بحاجة إليه في التعامل.

هوامش البحث

(1)الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ، تحقيق د. شوقي ضيف.
(2) فصول في فقه اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص/44 .
(3) التفسير الكبير –مفاتيح الغيب ج 3 ص/193
(4) انظر (بحث حكايات نشأة النحو) د. محمد سعيد صالح ربيع الغامدي – مجلة علوم اللغة – العدد 34المجلد التاسع – العدد الثاني 2006.
(5) المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص/ 59
(6) المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص/63
(7) ابن مالك هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيَّاني التوفى بدمشق 672 هـ ، كان أمة في القراءات ورواية الحديث الشريف ، ويعد أول من استكثر من الحديث في النحو ، وكان نظم الشعر سهلاً عليه فنظم الألفية وهي ألف بيت من الشعر تجمع كل أبواب النحو وفروعه، وله مؤلفات كثيرة في النحو نحو شرح التسهيل ، وشرح الكافية،وشرح الجزولية وغيرها الكثير، ينظر ترجمته في بغية الوعاة ص/53.
(8)ابن مضاء القرطبي: هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي المتوفى 592هـ ، كان حجة في الفقه المالكي والحديث النبوي فولاه الموحدون قضاء فاس ثم قضاء الجماعة.(ينظر ترجمته في بغية الوعاة ص/ 139)
(9) بحوث لغوية د/ أحمد مطلوب ص /102 ،وينظر اللغة المكتوبة والمنطوقة ، د/ محمد سليمان العبد ص/23
(10) قراءة في مصادر التراث للدكتورين محمد رجب الوزير وفكري سليمان ص/85
(11)لسان العرب لابن منظور، مادة (نقض) ج4003/4
(12) المصدر السابق، مادة (بدد) ج240/1
(13) ينظر شرح الكافية للرضي 46/1
(14)كتاب الرد على النحاة – لابن مضاء القرطبي تحقيق د. شوقي ضيف ،ط دار المعارف ط 2 لسنة 1982م.
(15) كتاب الرد على النحاة ص/ 76.
(16) المصدر السابق ص/77.
(17) الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار الطبعة الرابعة ص/ 111.
(18) المصدر السابق ص/110.
(19) المصدر السابق نفسه.
(20) المصدر السابق ص/ 110-111.
(21) الاتجاهات الوطنية ، د.محمد مجمد حسين ص/359
(22)ديوان حافظ إبراهيم 1/ 325
(23)مجلة معجم اللغة العربية ج 6 عام 1370هـ وعدد إبريل 1951 ص/ 18- 85- 170
(24) أراء وأحاديث للكاتب السوري ساطع الحصري ص/ 84
(25) المصدر السابق ص/ 110
(26) نحو عربية ميسرة ص/ 93
(27) الرد على النحاة ص/ 50
(28) المصدر السابق ص/ 48

(29) المصدر السابق ص/ 48–49
(30) المصدر السابق نفسه
(31) سورة الأحزاب آية 59
(32) اللمع لابن جني ص/ 119
(33)سورة البقرة آية 280
(34) سورة مريم آية 20
(35) اللمع لابن جني ص/ 119
(36) الإنصاف في مسائل الخلاف – المسألة 17 – جزء1 ص/ 156
(37) الهمع للسيوطي 353/1
(38) اللمع لابن جني ص/ 119
(39) الرد على النحاة ص/ 51
(40)الرد على النحاة ص/51
(41) الكتاب لسيبويه باب (ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز) 28/1
(42) سورة يوسف آية
(43) علم اللغة العربية (مدخل) د. محمود فهمي حجازي ص/ 233
(44) دعوة أصحاب التيسير المحدثين إلى الاستغناء عن بعض مسائل النحو ص/96 (بحث منشور في مجلة علوم اللغة – العدد 56 – العدد الرابع 2011)
(45) مستقبل الأدب العربي ص/ 7–6
(46)المصدر السابق نفسه.
(47) مجلة الهلال عدد يوليو 1926م.
(48) علم اللغة الاجتماعي(مدخل) د. كمال بشر ص/ 96 وما بعدها.
(48)التركيب النحوي وشواهده القرآنية ، د. محمد أبو الفتوح شريف ج8/1
(50) المصدر السابق.
(51) لسان العرب، لابن منظور، مادة (عرب).
(55) ضوابط الفكر النحوي ص/ 580–581
(53) مجلة الكتاب – مجلد 11 جزء 5 ص/ 536-540 – عدد مايو 1953م
(54) دلائل الإعجاز ص/121(بتصرف)
(55)فصول في فقه اللغة ص/ 349–350
(56) سورة فاطر آية 28
(57) دراسات في فقه العربية ص/117– 140
(58) فصول في فقه العربية ص/356–351
(59) فقه اللغة المقارن ص/117– 124
(60) اللغة العربية معناها ومبناها ص/ 205
(61) إحياء النحو ص/ 22–101
(62) العربية ص/ 14
(63)من أسرار العربية ص/ 198
(64)علم اللغة النصي، د. نادية رمضان النجار ص/ 287
(65) المصدر السابق نفسه.
(66)علم اللغة النصي ، د/ صبحي إبراهيم الفقي ج1ص/133

(67) من أشكال الربط في القرآن الكريم، د، سعيد بحيري ص/142
(68)اللغة والابداع، د. محمد سليمان العبد ص/ 33
(69) الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، د. حسن منديل حسن العقيلي ص/ 124
(70) انظر بحث بعنوان" تيسير النحو بين المحافظة والتجديد" للدكتور حسن منديل حسن العيقلي ، ص/ 4.
(71)النحو والدلالة ص/ 27،29

مصادر البحث و مراجعه

1-إبراهيم أنيس (دكتور)

- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – الطبعة السابعة 1974م.

2-إبراهيم السامرائي (دكتور)

- فقه اللغة المقارن، دار الجيل للنشر والتوزيع ، طبعة 1987م

3-إبراهيم مصطفى

- إحياءالنحو ، القاهرة 1937 م .

4-أحمد أمين

- مستقبل الأدب العربي في الثقافة –السنة السادسة 1944م رقم 280.

5-أحمد مطلوب (دكتور)

- بحوث لغوية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ط الأولى 1987م.

6-الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن)

- شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1419 هـ – 1998 م بيروت

7-ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات)

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ط 1997 .

8-أنيس فريحة

- نحو عربية ميسرة ، بيروت طبعة 1955م.

9-تمام حسان (دكتور)

- اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط. الثالثة (1418 هـ – 1998م).

10- ابن جني (ت 392 هـ)

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط الرابعة.
- اللمع في العربية ، تحقيق وتقديم وتعليق د / حسين محمد شرف ، الطبعة الأولى – القاهرة 1978 م .

11- حافظ إبراهيم

- ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت.

12- حسن منديل حسن العقيلي (دكتور)

- تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد(الأستاذ عباس حسن أنموذجاً)، بحث منشور في شبكة صوت العربية بتاريخ 25 يونيو 2010م .

- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسيرالحديثة، رسالة دكتوراة- كلية آداب المستنصرية- العراق لسنة 1969م .

13- ابن خلدون (ولي الدين عبدالرحمن محمد)

- مقدمة بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان 2001م.

14- الرازي (محمدبن عمر ت 606هـ)

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) المطبعة الشرقية – القاهر 1308هـ.

15- رمضان عبد التواب (دكتور)

- فصول في فقه العربية- القاهرة الطبعة الأولى 1977م .

16- ساطع الحصري

- آراء وأحاديث في اللغة والأدب، بيروت 1958م.

17- سعيد بحيري (دكتور)

- نظرية النص وموضوع النحو لهورست إيزنبرج-مكتبة زهراء الشرق، القاهرة .
- من أشكال الربط في القرآن الكريم، مقال من كتاب بعنوان" فولفديترش فيشر :دراسات عربية وسامية، مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية" مركز اللغة العربية ، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1994م.

18- سلامة موسى

- مقال منشور في مجلة الهلال، عدد يوليو 1926م.

19- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ط . الأولى ، بدون تاريخ

20- السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى (1418 هـ - 1998 م)
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبة الفضل إبراهيم- القاهرة 1964م.

21- شوقي ضيف (دكتور)

- تجديد النحو- دار المعارف- القاهرة.
- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً- دار المعارف القاهرة .
- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، دار المعارف – القاهرة.
- المدارس النحوية – الطبعة العاشرة – دار المعارف- القاهرة 2008م.

22- صبحي إبراهيم الفقي (دكتور)
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – ط الأولى 2000م.

23- عباس العقاد
- حرب اللغة- مجلة الكتاب، مجلد 11 السنة السابعة، عدد 2 مايو 1952م.

24- محمد إبراهيم عبادة (دكتور)
- الجملة العربية –مكتبة كلية الآداب –القاهرة 1997م.

25- محمد أبو الفتوح شريف (دكتور)
- التركيب النحوي وشواهده القرآنية، مكتبة الشباب – الطبعةالثانية 1993م القاهرة.

26- محمد حماسة عبد اللطيف (دكتور)
- النحو والدلالة –ط2 – دار الشروق – القاهرة.

27- محمد رجب الوزير (دكتور)
- قراءات في مصادر التراث التاريخي ، دار الاتحاد للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2003م .

28-محمد سعيد الغامدي (دكتور)
- حكايات نشأة النحو ، بحث منشور في مجلة علوم اللغة – العدد43المجلد التاسع – العدد الثاني 2006م.

29- محمد سليمان العبد (دكتور)
- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة (بحث في النظرية) –دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة ط الأولى 1990 م .
- اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ط الأولى 1989م.

30-محمد عبد الفتاح الخطيب (دكتور)
- ضوابط الفكر النحوي، دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم – دار البصائر للنشر والتوزيع– القاهرة.

31-محمد فاضل صالح السمرائي (دكتور)
- دعوة أصحاب التيسير المحدثين إلى الاستغناء عن بعض مسائل النحو (بحث منشور في مجلة علوم اللغة – العدد 56 – العدد الرابع 2011)

32-محمد محمد حسين (دكتور)
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة ، بيروت 1972م

33- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم ت 711هـ)
- معجم لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ط 1 ،1995م.

34-مهدي المخزومي (دكتور)

- في النحو العربي نقد وتوجيه _ دار الرائد العربي –ط الثانية – بيروت (1406هـ 1986م)

35-نادية رمضان النجار (دكتور)

- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – مجلة علوم اللغة – المجلد التاسع – العدد الثاني 2006م .

36-يوهان فك (مستشرق ألماني)

- العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ط 1980م.